طبعاً وتبتدىء بالمظهر ثم تأخذ بالجوهر . أما الأسرة السوقية المدقعة فيورثها كفاحها فى طلب القوت وضيع الرذائل وقذرَ العادات ، ومن ثم يمكن أن يُتخذ اليسر المالى مقياساً لرقى أسرة الطالب وسموها عن أدران السوقية كما تتخذ مهنة والده مقياساً لذلك أيضاً ، ويجب بعد أن يُقبل الطالب فى المدرسة أن تستمر الرقابة المدرسية الصارمة ، فمن ثبت عدم استحقاقه للبقاء فى بيئتها الراقية يُفصل على الفور ليظل جو المدرسة دائماً نقياً يسمو بأخلاق أبنائها

كذلك يجب أن تسمو المدارس بالعقول : بأن يُرفع مستوى الامتحانات التى يتوقف عليها تقدم الطالب فى مراحل العلم — أيا كان نوعها وكيفما أدخلت على أنظمتها الاصلاحات — حتى لا يُسمح باجتياز مراحل التعليم المختلفة إلا لمن هيأتهم الطبيعة بالمواهب الصحيحة ، فيُسمح للجميع بطَرْق مرحلة التعليم الأولى ، ولكن لا ينال الاجازات العلمية إلا من هم جديرون بها

***

هكذا يُطبَّق مبدأ الانتخاب فى التربية بناحيتيها الخلقية والعقلية ؛ وباتباع هذا المبدأ ترقى أخلاق المتعلمين ويرتفع مستوى الحاصلين منهم على الاجازات العلمية ويقل عددهم فلا يزيد على حاجة البلاد ولا يكونون طبقة عاطلة ، ومن تخلفت به مواهبه منهم عن إدراك غايات العلم الصحيح يُعرج على ما يناسبه من مهن وأعمال

فمبدأ الانتخاب ، مبدأ الاعتراف بالتفاوت بين الأفراد والطبقات ، مبدأ اختيار الأصلح ، الذى هو المبدأ الطبيعى ، هو المبدأ الذى به تصلح نظم التربية عندنا وتبرأ من علتها الكثيرة ؛ أما مبدأ الديمقراطية المطلقة ، مبدأ فرض المساواة التامة بين الجميع فى كل شىء ، مبدأ إفساح المجال لكل من هب ودب ، فهو مبعث آفات التعليم ، وهو الذى أدى إلى حشد التلاميذ فى المدارس ذلك الحشد الذى عزا إليه تقرير معالى وزير المعارف معظم مساوىء التعليم فى مدارسنا

فخرى أبو السعود
المدرس بالعباسية الثانوية

إبليس يتوب . . . !

للأستاذ محمد سعيد العريان

« ليس أسمج من الرذيلة تكون وحدها فى الأرض ، إلا الفضيلة تكون وحدها . . . ! »
الرافعى

اطَّلع إبليسُ ذات مساء على الأرض ؛ يستروح من نسمات الليل والدنيا نائمة — رَوْحَ الفردوس الذى طردته الكبرياءُ من رحمته . وانبثَّ زبانيتُه ينفثون الشرّ عن أمره فى أوكار الظلام ؛ ففى كل منعطَفٍ شيطانٌ صغيرٌ يتربَّص ، وبين كل اثنين ثالثٌ لا يرياه . . .

وسمع إبليسُ فى هدأة الليل عابداً يتهجَّد ، مايبدأ ولا ينتهى من سجدةٍ إلا لَعن الشيطان . . . !

وأحسَّ إبليسُ لعنات الشيخ العابد تنصبُّ عليه كما ينهال التراب على نار تتلهَّب ، أو ينصبُّ الماءُ على جمرةٍ تؤجّ

وصَرَّت أسنانُ الشيطان من الغيظ ، وانقدح من حَجاجيْه شرارٌ كاللهب ، أن عجزَ وعجزتْ زبانيتُه معه عن فتنة مثل هذا الشيخ الزاهد وإرادته على أن يتعلَّق بحفله من الدنيا وشهوات النفس ، على حين لم يعجز الشيطان أن يطرد أباه من الجنة !

أفكان يعصم الشيطانَ من اللعنات أن يُسلَّط على الناس جميعاً شهواتهم ويُغرى بهم أنفسَهم ؟ فكيف وإنّ عبادَه من أهل الغواية والمعصية ليذكرونه باللعنة على مقدار ما يُيسر لهم شهواتِهم ويضاعف لهم من مَسرّاتها ؛ وإنهم ليسرعون إلى لعنته إسراعَهم إلى طاعته . . . ؟

وهبَّت نسمةُ السَّحر تُعطر الدنيا بأنفاس الجنة ، فاستروح منها إبليسُ رَوحَ الماضى يُذكره أيامه كلها منذ بدء الخليقة ويلقى التاريخَ بين يديه . وتفتَّحته الذكرى وعاد الزمانُ القهقرى أمام عينيه ؛ فاذا هو مَلَكٌ بين الملائك يسبِّحون بحمد ربِّهم حافِّين من حول العرش ؛ ثم إذا هو يفسق عن أمر ربِّه أبياً مستكبراً أن يسجد لبشرٍ من طين ؛ وإذا هو من بعدُ مطرودٌ

من رحمة الله ، مذموم مدحور يلعنه الفضاء ويسبُّه الأبد ؛ ثم ينفث نفثته في صدر حوّاء فيزلُّها وزوجَها عن الجنة فيُخرجهما مما كانا فيه ، ويتعقّب أبناءها من بعدها على الأرض يصنع منهم حطبَ جهنم ، فما بشرٌ من الناس إلا الشيطانُ يسعى بين يديه ...

ثم هو في موقفه ذاك تتناثر من حوله لعناتُ الناس سواءٌ منهم طائعُه وعاصيه . وتصكّ أذنيه من مكانٍ سحيق زفراتُ عباده في نار جهنم تشكوى جباهُهم وجنوبهم بما أغواهم الشيطانُ وأضلهم سواءَ السبيل !

ولأوّل مرة استشعر إبليسُ لذعَ الندم فدمعت عيناه ...!

يالها من سخرية ... إبليس يتوب ... ! لقد كفاه ما اقترف منذ هبط من السماء انتقاماً لكبريائه التي زعمها ديستْ يوم أُمِرَ أن يسجد لصلصالٍ من حمأٍ مسنون !

أكانت توبةً نصوحا ، أم مبالغةً في الانتقام ، أم هو يشتهي أن يعيش بشراً بين البشر عُمْراً من عمره ، ليذوق بعض لذّات البشرية ، ويرى بعيني حسه كيف يفتتن بها الناسُ جميعاً منذ كانوا فتسرع بهم شهواتُهم إلى طاعة الشيطان ... ؟

* * *

وطلع إبليس على الأرض فتًى وسيماً يمشي على قدمين مشى الناس . وشعر لأوّل ما لبسته البشريةُ أنه جائع ، فعاجَ على ندىً ساهرٍ له به عهد ، لأنه هو الذي أنشأه وأقامه حجراً على حجر ، وطالما قضى فيه الليالىَ ذواتِ العدد من حيث لا يراه الناس ؛ ينفث الشر ، ويبذر بذور الخطيئة ، ويفتنّ في وسائل الاغواء ...

كانت مصابيح النّدىّ ترمي أضواءها إلى بعيد ، وتمُدُّ من أشعّتها شركاً يصيد الناس ويأخذ عليهم طريقهم ؛ وكان كلُّ ما ينبعث منه يُشعر أن هناك حركةً وعملاً يغريان من يلتمس إرضاء شهواته ...

ولكن ... ولكن هاهو ذا إبليس يصعد الدَّرجَ في أناةٍ ورفق ، ويدفع الباب في هدوءٍ وخفة ، ويخطو إلى البهو في سكون وحذر ، فيرى ، ولكنه يرى أجساداً لا تكاد تتحرك ، ويسمع ، ولكنه لا يسمع إلا مثل أنفاس النائمين ؛ ويشهد ، ولكنه لا يشهد إلا عيوناً محدّقة في الفضاء تتأمل . لم يكونوا سكارى ولا مُغيَّبين ، ولكن فكرةً واحدة كانت تسيطر عليهم جميعاً ، فكرةً بين السخط والرضى ، وبين الندم والاستغفار !

وجلس الشيطان إلى مائدة وحده وطلب طعاماً ، وراح يدير عينيه فيما حوله ومن حوله ، ويتسمع نجوى الضمائر الخفية تهمس في أعماق أصحابها

ورأى مائدة خضراء مبسوطة ، قد تناثر عليها هنا وهاهنا نقدٌ وورق ، ورأى كؤوساً فارغة وممتلئة ، ورجالاً ونساء قد تحلّقوا حول المائدة ، ذراعاً إلى ذراع ، وامرأةً بين كل رجلين ... ولكن يداً واحدة لا تمتدّ إلى شيء ، وفماً واحداً لا ينبس بكلمة ...

وأبصر رجلاً يهتز في موضعه هزّة خفيةً وهو يتحدّث إلى نفسه : كيف يصنع وقد فقد كل ما كان معه من نقد ، إنه ليرى ماله أمامه على المائدة ولكنه ليس من حقه ، لأن حظه في اللعب قضى به لغيره ، هو قضاءٌ غير مشروع ولكنه حكم العرف فما عليه إلا الطاعة ! وقالت له نفسه : ما أنت والقمار ؟ شدّ ما نهيتُك فلم تنته ! الآن فذُق ألم الحرمان مما تملك ، فلعلك من بعد ألا تستمعَ إلى إغواء الشيطان ...

واختلج إبليس حين ذكر اسمُه اختلاجةً كادت تنمّ عليه ؛ وهمّ أن ينهض ، لولا أن أقبل النادلُ [1] عليه بالطعام

وشُغِل إبليس لحظة بالأكل ، يزدرد اللقمة بعد اللقمة يكاد لا يحرّك بها فكيه ؛ وعرف لأوّل ماذاق الطعام — لماذا كانت شهوة البطن أوّلَ همّ الانسان ... !

وعاد ينظر إلى وجوه الناس وضمائرهم ، فما راعه إلا هذا المقامر الرابح محدقاً في الفضاء يتفكر ، وإن وجهه لتتعاقب عليه شتى ألوان الندم والحزن والحياء ... ثم لم يلبث أن نهض يجمع المال على المائدة فيفرّقه في قُمّاره وهو يقول : معذرة يا صحابتي ، فانما هو مالكم ليس لي حق منه في شيء ، وما لعبت لأسلبكم ما تملكون ، إنما أردتُ السلوة وإزجاء الفراغ . وعضّ على شفته واحمر وجهه ، إذ كان يعلم أنه يكذب في اعتذاره ؛ فما كان ليقامر إلا مؤمّلا أن يربح ، وما كان ليربح مرة إلا وهو يعلم أنه يأخذ ما لا يملك ؛ وقد ربح الليلة ، ولكنه حين ضمّ يديه على

(١) النادل واحد النُدل (بضمتين) ، وهم خدم الدعوة والمطعم والقهوة

المال أحسّ كأنه يقبض على جمر ؛ ورفت به سانحةٌ من الخير ، فتعفف أن يأكل مال الناس تخرج عنه لأهله . . . !

وتنظر الرجل إلى يمين ، فاذا صاحبته مطرقة قد تفرغرت عيناها ، فمال عليها وهو يهمس :

« أيكون قد أغضبك ما فعلت يا سيدتي ؟ »

قالت المرأة : « عفواً ، ليس لي شأن بذاك ، ولكن أمراً يقتضيني أن أعود مسرعة إلى الدار . . . ! »

وهبت واقفة ، فقال الرجل : « خير . . . . ! أتأذنين لي أن أصحبك ؟ »

قالت : « شكرا . . . ! »

وسارت في طريقها فما الحّ الرجل ولا تعوقت المرأة ، ومالت إلى غرفة في الندى تأخذ زينتها في المرآة فأدركتها صديقة ، ونظرت كل منهما في وجه صاحبتها فأطالت النظر ثم أطرقتا . .

منذ بعيد تقارف هاتان المرأتان الاثم في غير حذر ولا ندم ؛ أما إحداهما فضحية شاب غوى أغراها حتى نال منها ثم اختفى من وجهها وخلّف بين أحشائها بضعةً منه ، ففرّت بجريمتها من قانون الجماعة إلى حيث تشفي داء قلبها بالانتقام من الرجال

وأما الأخرى فزوج كالأيّم ، أو هي أيم وإن تلك ذات بعل ؛ فما شعرت يوماً أن لها حقاً على رجلها ، وإنه لدائب التجوال بين البلاد ، لا تستقر به الدار في حضن زوجته أياماً حتى تعرض له الأماني تغريه أن يضرب في الأرض يطلب المجد بالثمن الغالي . . . بشرف زوجته . . . !

لم تحس المرأتان قبل الليلة معنىً من معاني الندم ؛ فما لهما الليلة مطرقتين لا تنبسان ؟

أرأيت إلى المجرم إذ يُفجأ وهو يقارف جريمةً منكرة ، فليس يملك أن ينكر ولا أن يعتذر ؟

وعاد نظر المرأتين فالتقيا فاذا هما تتعانقان وقد اجهشتا باكيتين ، وأطفأت دموع الاستغفار وقد النار ولذع الندم ، فكأنما حلت في جسد كلٍّ منهما روحٌ جديدة قد خرجت من الجنة لساعتها لم تتعلق إثماً ولم تجترح معصية

وتلفت إبليس فاذا الندىّ مقفر خالٍ ليس فيه إلا النُّدُل يسعون بين الموائد الخالية ، يرفعون الأوراق والأقداح ويصففون الكراسي والمناضد

وتنفّس الصبح فأبدل إبليس ثياباً بثياب ، وانطلق في نُبّانِه وبُرْنُسِه إلى سيف البحر[1] ، يستمتع به ما يستمتع البشر ، ويملأ عينيه وقلبه من مفاتن دنيا الناس . لقد كان له في البحر معهدٌ يرتاده زبانيتُه يعلمون الناس السحر وينصبون شَرَكَ الفتنة ؛ وهو ذا البحر ، فأين فتنته وسحره ، وأين مباهجه التي كانت ؛ أين الأجسام البضة ، والأذرع الغضة ، والسيقان اللفاء ، والصدور النواهد ؛ وأين العيون التي ترى فتصمي ، وأين لآلئ البحر تغوص وتطفو ، وأين الزَّبَدُ الأبيض يلاطم الزبد الأبيض

لقد خلا البحر من عرائسه ، إلا عجوزاً مقرورة مستلقية على الشاطئ ، ما يبدو منها إلا عينان كمَدَفَتَين ملقاتين في كومة رمل !

وهذه فتاة تمشي على استحياء مستندة إلى ذراع أخيها ، فما تعرت من برُنُسها إلا ليسترها الماء . وهذا رأس رجل يبدو سابحاً من بعيد ، ما يكاد يرى الفتاة حتى يتنكّب عن الطريق لئلا تتأذّى منه الحسناءُ السّبوح

وأحسّ إبليس أوّلَ آلام البشرية في الوحدة والفراغ والضجر ، فمضى على وجهه ممتلىءَ النفس فارغ الفؤاد . لقد ودّع عالمه الموحش تحت الرّغام ليظفر بالأنس في عالم البشريّة ، فما ظفر إلا بالوحشة وألم الشعور بالحرمان ؛ وخلع عنه شيطانيّته تائباً ليهب للناس الاستقرارَ والسلام ، فما لقي هو في بشريته إلا الاضطراب والألم

* * *

واطمأنت الحياةُ بالناس ، فاجتمعوا على الرضى والطاعة في حالٍ شرٌ منها السخطُ والعصيان ؛ إذ لم يكن ثَمّتَ عدوانٌ يدعو إلى المقاومة ، أو تَرَبُّصٌ يُنَبِّه إلى الحذر ، أو كيدٌ يستتبع الحرصَ واليقظة ؛ وعاد كل فردٍ أمةً وحده ، يعيش في رضى وقناعة على أكل ما يكون الانسان صلاحاً وحبّاً في الخير ، ولكن الجماعة لم تجد ما يشدّ وحدتها ويربطها آصرةً إلى آصرة . ودبّ النعاسُ إلى أجفان الحياة : فمات الطموح

(١) البنان : سراويل البحر . والسيف (بكسر أوله) : البلاج

لأنه بابٌ من التكبر ؛ وحمد النشاط ، لأنه جهاد فى غير عَدُوّ ؛ واستنام الناس إلى القدر ، لأن التمنى ضربٌ من الأثرة ؛ وعاش نصف الناس عيالاً على نصف الناس ؛ فليس تحت عملٌ للشرطة والجيش ورجال الحكم ؛ وأنى لهم أن يعملوا مادام لاسرقة ولا قتال ولا عدوان ؟

وكسدت سوق القَفّال والزَّرّاد والصَّيْقَل والرَّمّاح ؛ وما حاجة الناس إلى الأقفال والدروع والسيوف والرماح ؟

وقال فتىً لصاحبه : تعالَ نلتمس نزهةً فى غير ساحة (المولد) ؛ فما لنا ولهذه المهرجانات التى لا تجتمع إلا على شرٍّ ولا تحشد الناس إلا لمعصية ؛ حسبى أن أعمر قلبى بذكر الله وأتخذ أولياءه قدوتى وإمامى . . .

وأمّن صاحبه على قوله ؛ ولكن البدّال ، والبقّال ، والبزّاز ، وبائع الحمص ، وصانع الحلوى ، ومدير الملاهى — لم يعرفوا لماذا هجر الناسُ المولد ؛ فمضى الموسمُ ما باعوا ولا اشتروا ولا تعوّضوا ، وقوّض كل منهم خيمتَه ومضى غير مأجور على جهاده !

وقال بعضهم لبعض : « أترون الناس قد نسوا أولياءهم فتمرّدوا على ما اعتادو ؟ »

فأجاب شيخ كبير : « ذلك من عمل الشيطان . . . ! »

وأراق الحمّارُ أحمرَه وأصفره وهو يقول : « ليت خمرى كانت خلاً . . . . ! »

وجلس قاضيان يداولان بينهما الرأى :

« أيهما خير : أن تعيش الفضيلةُ وحدها على الأرض ، أو أن تنبت بين أشواك الرذيلة والمنكر والشر ، فيكون للانسانية منها أفراح ثلاثة : فَرَحُ النفس المؤمنة بها ، وفرحها بالصبر على المجاهدة لها ، وفرحها بالظفر بعد مشقّة الجهاد . . . ؟ »

ونظر الشيخ الزاهد فى صحيفة أعماله ، فاذا هى بيضاء أو كالبيضاء ؛ فليس يُضاعف الأجرَ إلا المقاومة ؛ ولو أن عابدا قضى الدهر كله راكعاً ساجداً ، ما عَدَل أجرُ عبادته كلَّها ثوابَ ساعةٍ لشابٍّ تتجاذبه شهواتُ الدنيا ، كلما هفَتْ نفسُه إلى معصية ردَّه عنها الايمانُ والتُّقى ، فهو أبداً فى مجاهدةٍ لا يهدأ ، وهو أبداً مأجورٌ أجراً لا ينتهى !

وإنما يقظة الحياة فى الجهاد والمقاومة وتوقُّع ما يأتى به الغدُ على شتى ألوانه ؛ فاذا عُدِم الجهاد ، وفُقِدت دواعى المقاومة ، وعاش الانسان لساعته التى هو فيها — أعمى أو كالأعمى لا يُبصر ما أمام — فَقَدَت الحياةُ معناها الأسمى ، وعاش الناس فى هدى أشبهَ بالضلال ، وفى فضيلةٍ شرٍّ من الاثم والفسوق والعصيان !

ليتك تدرى أيها الزارى على القدر . . . ! هل تستوقد النار إلا بالحطب ؟ فمِن أين لك مادمتَ تشفق على الغصن اليابس والهشيم الجافّ !

وهل يعلم الفُسّاق والعُصاةُ من بنى آدم ، أنهم قبل أن يكونوا فى أُخراهم حطبَ جهنم — كانوا فى دنياهم سُلّم البشرية إلى مثلها الأعلى . . . ؟

وتثاءب الشيطان وتمطى إذ أدركه النعاسُ الذى ضرب على عيون البشر ؛ وإذا هو وقد خضع لناموس البشرية قد نالَه ماينال الناسَ من الضيق والملل وتقلُّب الرأى ؛ إذا تقلقلت دنياه طلب الاستقرار ، فاذا استقرّ عاد ينشد الحركة ويتبرّم بالسكون . . . !

وقلّب وجهَه فى السماء كاسفاً محزوناً ، ثم أسند رأسَه إلى راحته وجلس يتفكّر . . .

أىّ خير كان يقدم هو للجماعة البشرية على حين كان لا ينبنى إلا الكيدَ والانتقام ؟ هذه الدنيا تنام بعد يقظة ، وتسكن بعد حركة ، وتسترخى بعد نشاط ، لأنه هو قد بطل سحره ، وإذ لم يعد فى الدنيا شرّ ، مات فى الجماعة روحُ الانبعاث إلى الخير . . !

أيها الخالق العظيم ، ما أعجب تدبيرك وأدقّ حكمتك ! خلقت الشر والخير يصطرعان فى هذا العالم لتوجدَ منهما الخيرَ الأعظم ، وأنا — أنا الشيطان المشئوم — حسبتنى يوماً أكبر مما أنا ، حين ذهبتُ أهدّم ما تبنى ، وأعصى ما تأمر ، وأدعو إلى ما تنهى ، فلما آذنتَ أن تُذل كبريائى ، أريتنى نفسى إلى جانب عظمتك ، فاذا أنا ، أنا الذى زين له الغرور يوماً أنه أكبر من أمرك ، إذا أنا أعصى عصيانى فى طاعتك ، وأفسد إفسادى لاصلاح عبادك على قدر منك وتدبير حكيم . . . . !

وشمر الشيطان بالخيبة تلاحقه فى كل مكان ، فلا هو هناك — فى عالمه الشيطانىّ — كان موفقاً فيما يحاول الانتقام من بنى آدم ، ولا هو هنا . . .

وعاودته نزغة شيطانية لم يلبث أن قمعها فى صدره وانطلق فى سبيله

* * *

وانتهى إلى البستان المعشوشب المخضل وقد نال منه الاعياء فارتمى على العشب الرطب يستريح فى ظل وارفة لفاء ، وطلع له من بين ملتفّ الحدائق حسناءُ وضاءة ، تمشى كما يهتز الغصن وترنو كما يبتسم الزهر

وأحس إبليس مرة أخرى أن قانون البشرية يعمل فى دمه وأعصابه ، وأطال النظر إلى الحسناء الفاتنة ثم أطبق عينيه وهو يتنهد ، كأنما قد توهم أنه قد احتوتها أجفانه ، وشعر بمس الحب فى قلبه فأشرق وجهه بابتسامة هادئة فيها لمحة من السرور وغير قليل من الألم

وجلست الحسناء جلستها على العشب غير بعيد ، وضمت إليها أطراف ثوبها يستر شيئاً ويكشف عن شىء ، مستأمنة مطمئنة

وخطا إبليس خطوتين إلى حيث جلست يسألها شيئاً ، فاستحيت حواء الصغيرة وأرخت فضل ثوبها على الوجه الفاتن ، ووقف إبليس ينشد قصيدة غزل طويلة ، وعنها حواء كلمة كلمة ومعنى معنى ، ولكنها لم تنبس ، ومدّ إليها يداً يستنهضها فما نهضتْ وازورّت عنه مُعرضة ، وسكت ولكن عينيه ظلتا تتحدثان حديثهما

واربدّ وجه المرأة من غضب ، فما رأى إبليس غضبتها إلا فناً جديداً من فنون جمالها ، فقالت وقد ضاقتْ به : « اليكَ عني يافتى وخَلِّ سبيلى . . . . ! »

وضاق صدر الشيطان بهذه الانسانة العنيدة ، وثقل عليه أن يعجز عن نيلها وهو هو !

كم فتاةٍ وامرأةٍ قبل صاحبته تلك كانت من عباده وأتباعه ما تأبّتْ واحدةٌ منهن على ما أراد لها ؛ على أنه اليوم يريدها لنفسه هو ، فليس به اليوم حاجةٌ لأن يسعى لغيره وقد خلع شيطانيّته !

ماذا . . . ! أيعيش هذه الآلاف من سنيه الماضية يتحكم فى البشرية كلّها ، ويملى إرادته ، ويسعى بين الناس ، ويصل بين الأحباب ، ويقدّم الثمرة لكل من يشتهيها ؛ حتى إذا اشتهى هو أن يذوق تلك الثمرةَ أعجزه أن ينالها . . . ؟

والمرة الثانية منذ خلق شعر أن كبرياءه جريح . . . !

لقد أبى أن يسجد لأبى البشرية كلها وفسق عن أمر ربه ، أفتفسق عن إرادته امرأة ؟ وما هو إن لم ينلها ؟ وما هى حتى تتأبّى عليه كلّ هذا الاباء ؟

وعاود احتيالَه يستجدى الحسناءَ بعضَ الرضى ، فولّتْ عنه معرضة مستكبرة ، ومضت تدوس بقدميها الصغيرتين قلبَ إبليس . . . !

وعاد إلى نفسه يستلهمها الحيلة فما أمدّته بشىء ، وبدا إبليس فى بشريته إنساناً ضعيفاً قليلَ الحول ، لا قدرة له على التصرف ولا طاقة له بالاحتمال . . .

ووجدت له شغلاً من فراغ . . . وعدا خلف المرأة يحاول أن يدركها ما يبالى نظرات الناس ؛ فاذا زوجها يلقاها على الطريق فيصحبها إلى الدار يداً فى يد وجنباً إلى جنب !

وأحسّ إبليس فوق ألم الحبّ الذى يجد ـ ألماً جديداً من آلام البشرية ، وقذفَ منظرُ الزوجين المتحابّين فى قلبه الحسد . . . !

وآدَه العجز والشعورُ بالحرمان ، فعاودته شيطانيّتُه ثائرةً محنقة . على أنه وقد ذاق بعض لذّات البشرية فى آلامها لم يكن يريد أن يرتدّ إلى عالَمه ، إنما كان حسبه أن يستمدّ الحيلةَ من طبيعته الأولى بمن يحب وهو باق فى بشريته !

ولكنه ـ وا أسفاه ! ـ لم يستطع أن يكون شيطاناً ورجلاً فى وقت معاً ؛ وحين ألهمته طبيعتُه الأزلية بالرأى فقذف بالفكرة المحرّمة فى قلب المرأة ـ كان خلقاً آخر ليس من البشرية ولا حظّ له من المرأة . ونظرت الحسناءُ إلى وراء تفتقد عاشقَها الدنف فما رأته ، وما كان لها أن تراه وقد عاد شيطاناً لا يخضع لنواميس هذا العالم ؛ ورآها هو تنظر متلهفةً مشتاقة ، فما نالته نظرتُها ولا مسّت قلبه ؛ لأن إحساس البشرية ونوازعها كانت قد فارقته حين لبس جناحَىْ شيطان . . . !

وكُتب فى تاريخ الأرض ، أن إبليس قد تاب مرّةً ، ولكن ردّته الى شيطانيته امرأة . . . . ! ما ؟

(طنطا) محمد سعيد العريان